إشكاليات النقد الثقافي بين التوصيف والتحليل

The Problematics of Cultural Criticism: Between Description and Analysis

د. عمر عبدالله العنبر: أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

Dr. Omar Abdullah Al-Anbar: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Al-Isra University.

Email: omaralanbar@yahoo.com

الملخص:

يُشكلُ النقد الثقافي محاولة ذات مرجعيات غربية انتقلت إلى النقد العربي من خلال مفاهيم وأدوات تسعى لربط مسيرة النقد بآفاق الثقافة، وينتمي النقد الثقافي إلى تياري (ما بعد الحداثة) و(ما بعد البنيوي)، ويقدم هذا البحث مراجعة لأهم إشكاليات النقد الثقافي بمنهج وصفي تحليلي للإشكاليات المؤثرة في منهجيته النقدية وتشكيله المعرفي، ويهدف هذا البحث إلى تقديم تبصرت للناقد بأهم إشكاليات النقد الثقافي لمعرفتها ومحاولة تجاوزها وعدم الوقوع في شركها، ويُعدُّ تشخص إشكاليات النقد الثقافي مصدراً للتغلب عليها أو حلها، ولابد من المراجعات المنهجية للنقد الثقافي وتقييمها لمعرفة مدى عمق الإشكاليات التي قد تسبب أزمة في النقد الثقافي في حال تجمعها وعدم معالجتها، وأمَّا منهج هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي لتبيان إشكاليات النقد الثقافي.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، إشكاليات، الأنساق الثقافي، النقد الأدبي، مشكلات النقد الثقافي.

Abstract:

Cultural criticism represents an attempt with Western references that has transitioned to Arabic criticism through concepts and tools aimed at linking the trajectory of criticism to the horizons of culture. Cultural criticism belongs to the streams of (postmodernism) and (poststructuralism). This research provides a review of the main issues of cultural criticism using a descriptive-analytical method for the influential issues in its critical methodology and epistemological formation. The goal of this research is to offer critics insight into the main issues of cultural criticism to recognize them, attempt to overcome them, and avoid falling into their trap. Identifying the issues of cultural criticism is considered a source for overcoming or solving them. Methodical reviews and evaluations of cultural criticism are essential to understand the depth of issues that might cause a crisis in cultural criticism if they accumulate and remain unaddressed. The methodology of this research is descriptive-analytical to elucidate the issues of cultural criticism.

Keywords: cultural criticism, issues, cultural patterns, literary criticism, problems of cultural criticism.

المقدمة:

تعدد مفاهيم النقد الثقافي بتعدد منظريه وأعلامه ومفكريه ويمكن وصف النقد الثقافي بأنه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها" (الرويلي، 2000، ص308) ويهدف النقد الثقافي إلى تبيان العيوب الثقافية أو النسقية الموجودة في الخطاب فهو ينظر إلى أيّ فعل ثقافي نصي أو فني أو غير ذلك بوصفها خطاباً، فالنقد الثقافي يكشف عن البنية العميقة الثقافية المؤثرة في الثقافة من خلال أدوات أهمها: (المجاز الثقافي، المؤلف المزدوج، الأنساق الثقافية العميقة...) وغيرها من الأدوات التي تكشف الملامح الثقافية، ويسعى النقد الثقافي إلى وصل العلاقة بين الخطاب بأنواعه والقضايا الثقافية الحياتية.

ويظهر النقد الثقافي بوصفه محاولة للتجديد في الساحة النقدية العربية سنة (2000) من خلال كتابات الدكتور عبدالله الغذامي التي قدمت أنموذجات تطبيقية للنقد الثقافي من خلال نقده ثقافياً لقضايا أهمها: (المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم، سقوط الشعر وبروز الشاعر، اختراع الفحل، تزيف الخطاب، صناعة الطاغية، اختراع الصمت، نسقية المعارضة، رجعية الحداثة)؛ لأنها تشكل أنساقاً غير اعتيادية في النقد فهي تظهر العيوب النسقية التي تمثل ثورة منهجية صادمة تربط الواقع الثقافي المعيش بالخطاب المضمر في الثقافية لتجعل الناقد في صراع حرّ وقوي بين القيم الأساسية التي اعتادها الناقد والجديد الذي يقدمه النقد الثقافي، ويظهر أنّ النقد الثقافي نمطٌ مقومٌ لكل ما هو بديهي أو تقليدي أو يأخذ دون تفكير في القضايا الخطاب؛ ولكنّ: "الجدة والريادة تحمل هنات؛ لأنها غير مسبوقة؛ وهي تسمح بمثالب يقع فيها الرواد، والغذامي اجتهد وحاول وله شرف المحولة" (خليل، 20212، ص37).

ويظهر أنَّ وجود الإشكاليات في حقل النقد ظاهرة معتادة؛ لأنَّ وجود الكمال المنهجي في النقد غير ممكن والاجتهادات في النقد الثقافي تقبل مبادئ الصواب والخطأ، ويشكل البحث في إشكاليات النقد الثقافي محاولة لمعرفة هذه الإشكاليات وتجاوزها وتشخيصها، ويأتي البحث في هذه الإشكاليات ضمان سياق التغذية الراجعة التي تقدم لنقاد النقد الثقافي، ووجود الإشكاليات في النقد الثقافي لا يقلل من قيمته فلا يوجد نقد يتسم بالكمال المنهجي.

ولابد من التأكيد على أنَّ النقد الثقافي العربي له خصوصية في معالجة الواقع الثقافي العربي المعيش بأدوات نقدية تناسب النقد الثقافي، فالنقد الثقافي العربي ذو أصول غربية وخصوصية عربية

تنبع من الثقافة وطبيعة الخطاب والقضايا الثقافية العربية، ولا بد من الاعتراف بأنَّ النقد الثقافي أحد أهم العناصر المشكلة لثقافة الأمة؛ بسبب الاتصال العميق بين الخطاب والعقل العربي.

ويظهر من خلال البحث في بدايات مشروع النقد الثقافي أنَّ: "حجر الزاوية لمشروع النقد الثقافي عند مثقفي نيويورك الذي ميزهم عن المدارس المنافسة المعاصرة هو ربط الخيال الأدبي بالوجود الاجتماعي من خلال النقد الثقافي" (ليتش، 2019، ص104). ويظهر من خلال تتبع بدايات النقد الثقافي اختلاطه النقدي مع دراسة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخي والسياسية؛ لأنَّ المدخل الثقافي يمثل بوابة لدراسة السياقات الخارجية للأعمال الأدبية، وينتمي النقد الثقافي إلى اتجاهين أولهما (ما بعد البنيوية) الذي يعني التركيز على: "فكرة الاختلاف وتدريسها من جميع الوجوه – كما عند دريدا– وتنتقده – ما بقي من أفكار ومبادئ ميتافيزيقية عند مفكرين بنيويين وغيرهم، وتبحث في الكتابة من حيث العلاقة بالذاتية والثقافة، وتبحث في مسألة (الآخر) و(الآخرية)، وتحلل العلاقة بين الذات والموضوع وصلة ذلك بالفكر الأفقي: الفكر الذي يكون في حركة دائمة، ويقوم على الاختلاف، وليس على التماثل والهوية" (ليشته، 2008، ص523). والاختلاف يظهر جلياً في النقد الثقافي العربي إذْ يبدأ من الاختلاف وينتهي به، ويتجلى الاختلاف في نقده المسلمات، وهذا ما يحدث فعلاً في النقد الثقافي العربي الذي يوجه سهام النقد للمبادئ الكلية التي نعتقد اعتقاداً جازماً بثباتها مثل: النقد الأدبي العربي الذي دعا النقد الثقافي إلى موته، ومثال آخر من كتاب النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) الذي يتساءل عن الحداثة العربية ويحاول هدم كيان الحداثة العربية بوصفها حداثة رجعية.

وثانيهما (ما بعد الحداثة) الذي يعني: نقد الحداثة، والمبادئ الكلية المطلقة، ورفض فكرة وجود أصل أو غاية نهائية... وطرح الأسئلة حول نظرية المعرفة التي اعتمدتها الحداثة القائمة على التمييز بين الذات والموضوع" (ليشته، 2008، ص523) ويلاحظ أنَّ (فينسنيت ليش) –مؤسس النقد الثقافي في الغرب– أطلق اسم النقد الثقافي على نظرية ما بعد الحداثة، وهذا ما كان فعلاً في النقد الثقافي.

ولا ينفي هذا البحث وجود إيجابيات في النقد الثقافي ولكنّها ليست مطروحة ضمن موضوعات البحث، ويبين هذا البحث إشكالية النقد الثقافي وأهم أبعادها وعلاقتها وفق الآتي:

المبحث الأول: العلاقة بين النقد الأدبي والثقافي ودعوة النقد الثقافي إلى موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي محله، والهجوم على الجماليات في النصوص والخطابات.

وإنَّ هذه إشكالية مركبة تتكون من ثلاثة أجزاء: أولها العلاقة العدائية بين النقد الثقافي والنقد الأدبي، وقد بدأت هذه العلاقة عند الناقد الغذامي الذي هجم على النقد الأدبي هجوماً شديداً ودعا إلى موته من خلال البحث في العلاقات الثقافية، وثانيها الدعوة إلى إحلال النقد الثقافي بديلاً

عن النقد الأدبي بوصف انتهاء المهمات الدعية إلى وجوده، وثالثها الهجوم على دراسة جماليات النصوص الأدبية والبحث عن العمق المشكل للنص الأدبي، فالنزعة الهجومية على الثوابت والمبادئ الراسخة مظهراً واضحاً من مظاهر النقد الثقافي، فالنقد الثقافي يعلن حرباً دائمة على الثوابت، ويسعى إلى خلخلتها من خلال أدواته المنهجية، وهذا يحدث نوعاً من الفوضى في النقد الثقافي؛ بسبب الاضطراب الذي يحدثه في العلاقة بين القديم والجديد، وهذا ما حدث فعلاً عندما شن (مؤسس النقد الأدبي العربي عبدالله الغذامي) في كتابه الشهير (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية) هجوماً كاسحاً على النقد الأدبي العربي واتهمه بأنه عباءة جمالية تخفي العيوب الثقافية النسقية، ويشير إلى أنَّ النقد الأدبي: "أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام؛ بسبب العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي، الشعري والبلاغي، حتى صارت نموذجاً سلوكياً يتحكم فينا ذهنياً وعملياً، وحتى صارت نماذجنا الراقية – بلاغياً– هي مصادر الخلل النسقي، ولنأخذ أمثلة من أبي تمام والمتنبي وأدونيس ونزار قباني، وهي أمثلة على الجمالي الشعري، وهي – أيضاً– أمثلة على الخلل النسقي، وما يتراءى لنا جماليات، وحداثياً في مقياس الدرس الأدبي هو رجعي ونسقي في مقياس النقد الثقافي... وكل دعاوى أدونيس في الحداثة سيتضح لنا أنها خطاب لفظي لا يؤدي إلا إلى مزيد من النسقية، وبما أنّ النقد الأدبي غير مؤهل لكشف الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي – الغذامي– بإعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه" (الغذامي، 2005، ص8).

ويظهر بعد أكثر من عشرين سنة على هذه الدعوة أنَّ النقد الأدبي لم يمت النقد الأدبي، ولن يموت؛ لأنَّ الأسباب الموجبة لبقاء النقد الأدبي مهمة وأساسية وذات تأثير، ويختلف النقد الأدبي في أهدافه ومهمته اختلافاً جذرياً عن النقد الثقافي؛ فالنقد الأدبي المنهجي يسير وفق فكرٍ نقدي ممنهج ينبع من رؤية المنهج وفلسفته وأهدافه وتطبيقاته التي تؤكد وجود مناهج نقدية أدبية متنوعة في الساحة النقدية، والنقد الأدبي العربي يمثل الخصوصية العربية في التعامل مع النصوص الأدبية، ولا يشكل النقد الأدبي العربي بديلاً للنقد الثقافي بل إنهما – النقد الأدبي والنقد الثقافي – متواجدان في الساحة النقدية الأدبية العربية ولكل منهما خصوصيته وأهدافه ومنطلقاته، وهما مستقلان ومنفصلان، والنصوص الأدبية تطلب نوع النقد المناسب سواء أكان نقداً ثقافياً أو نقداً أدبياً؛ لأنَّ حاجات النصوص الأدبية تربط وتختار وفق رؤيتها؛ نوع النقد الأنسب يحدده (الخطاب/ النص) فهو يطلب النقد الأنسب ثقافياً أو أدبياً.

وينظر النقد الثقافي إلى: "النقد الأدبي نظرة ضيقة؛ فيحصره في ما هو جمالي وبلاغي، لذا يعلن موت النقد الأدبي، وأنه قد استكمل رسالته، وليس لديه ما يعطيه؛ ولكن عبدالله الغذامي لا ينظر للنقد الثقافي بأنه بديل للنقد الأدبي؛ لأنَّ النص الإبداعي جمال ومتعة قبل أنْ يكون فائدة ورسالة ثقافية ومقصدية أيديولوجية وإلا سنعود إلى تلك المناهج الخارجية من واقعية وماركسية وبنيوية

تكوينية التي كانت تحاكم النص الأدبي في ضوء المرجع الخارجي باستمرار، وفي هذا الصدد يؤكد (عبدالنبي اصطيف) وأول ما يضعف النقد الثقافي دعوته إلى موت النقد الأدبي وتصور الخاص جداً للنقد الأدبي، وهو تصور محفوز بغرضه، ولا يكاد يشركه فيه الكثيرون من النقاد العرب المعاصرين الذين لا يزالون يؤمنون بالنقد الأدبي، وبقدرته على ممارسة وظائفه الحيوية في المجتمعات العربية الحديثة" (ديامنتة، 2013، ص123)، والنقد الأدبي حقل متطور بسبب حركة البحث العلمي والمنهجي التي تضيف مناهج وملاحظ نقدية جديدة من خلال البحث العلمي الدائم والدائب في مناهجه وأبعاده، وكان الإسراف في الحماسة للنقد الثقافي من أهم الأسباب التي تدعو إلى إحلاله مكان النقد الأدبي مع العلم أنَّ للنقد الأدبي مناهجه ومنجزاته التي تؤكد خصوصيته وأسباب وجوده، ولكل منهما شأنٌ مختلف على الآخر، وأسباب موجبة للوجود والحركة.

ويظهر من خلال متابعة الساحة النقدية العربية سطوة النقد الأدبي واستمراره ولا سيما في الجامعات والكتابات النقدية، والدعوة إلى موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي مكانه– ولو كانت دعوة نظرية لم تطبق على أرض الواقع فعلاً – إلا أنها تثير حفيظة النقاد ولاسيما المحافظين الذين يقتنعون أنَّ النقد الثقافي هو منتج غربي مستورد يُطبقُ في النصوص الأدبية بوسائل غربية، ويمكن التنويه إلى أنَّ للنقد الثقافي العربي ذو خصوصية التشكيل التي تميزه عن الآخر الغربي (وإنْ اتفقت بعض المرجعيات).

وموقف عبدالله الغذامي: "من النقد الأدبي في إطار –مشروعه– في النقد الثقافي ودعوته لإعلان موته يمثل جانباً لم يحالفه التوفيق فيه حين اعتمد في تسويق النقد الثقافي بوصفه بديلاً عن النقد الأدبي وهي دعوة ما كانت لتمر دون مناقشة أو جدل" (خليل، 2012، ص8). والدعوة إلى موت النقد الأدبي – غير محسوبة الأبعاد– أدت إلى إحجام نقاد الأدب عن انتهاج النقد الثقافي وأخذ موقفين أولهما مهاجم للنقد الثقافي وعدم التفاعل معه نهائياً والآخر محايد ينتظر نتائج الصراع الذي يؤدي إلى خسارة هذه الدعوى، ويظهر أنَّ سبب الدعوة إلى موت النقد الأدبي الاقتداء بمحاولة (فينسنت ليش) الذي دعا إلى موت الحداثة وإحلال النقد الثقافي محال الحداثة الغربية.

وينتقي النقد الثقافي جزئيات: "يضخمها ويجعل منها قانوناً متحكماً في النتائج التي يروم الوصول إليها، بينما الحكمة في تلازم الأدلة وتواترها وهيمنتها الكاملة التي تعم النتاج الشعري العربي كاملاً، وإنَّ شيوع الروح التفتيشية التي تعزل أدلة مفردة من سياقاتها واستنباط نتائج ثابتة ونهائية منها يعيدنا إلى النقد التقليدي الذي دعا الغذامي إلى تجاوزه إن لم أقل تخريب ركاز ومسخة... واعترض بعض الدارسين على مشروع الغذامي– كعبد النبي أصطيف مثلاً– الذي يؤكد أنه لا يمكن للنقد الأدبي أنْ يموت كما لا يمكن للنقد الثقافي أنْ يؤسس ولادته ومشروعيته على أنقاض النقد الأدبي، فالخطاب الثقافي لا يتحقق وجوده بانفصامه عن جماليات اللغة والمعنى في النصوص الشعرية

وإنما يكتسب صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الاجتماعية المنصهرة فيه" (خليل، 2012، ص 37).

وإنَّ الدعوة إلى موت النقد الأدبي خللٌ نسقي في النقد الثقافي؛ لأنَّ النقد الأدبي العربي يشكل ظاهرة تمتلك كل أسباب البقاء ومبرراته وأهمها البحث العلمي المتنامي في النقد الأدبي ومجالاته المنهجية والعمل على تطوير مناهجه النقدية الأدبية، ولا شك في أهمية الجوانب الجمالية في النصوص الأدبية؛ لكن النقد الأدبي ليس كله جمالا أدبيا أو بحثا عن الجمال، إذْ يظهر في النقد الأدبي مناهج نقدية أدبية خارجية تبحث في العلاقات الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية، ومناهج نقدية أدبية داخلية تبحث في البنية والأسلوب والمرجعية، وهذه المناهج النقدية تخدم الأدب ونصوصه.

ويفضل في سياق العرض للنقد الأدبي العربي الموضوعية فهو حقل له منجزاته ولا شك أنَّ الإنسان كائن باحث عن الجمال بطبيعته وفطرته ونزاعته نحو الأفضل؛ ومن الطبيعي الانجذاب لجماليات النصوص الأدبية، ويلاحظ أنَّ النقد الأدبي ليس نقداً جمالياً إنما هو نقد ذو آفاق منهجية وفلسفية، وإنَّ موت النقد الأدبي يعني: "قتل لأدبية وجمالية النصوص حيث إننا لا يمكننا قراءة نص دون الوقوف على جمالياته" (عليمات، 2004، ص35).

وقد اعترف الناقد الغذامي بأهمية النقد الأدبي بوصفه جزءاً من تشكيل (النص/الخطاب) إذْ لا بد أنْ يكون: "النص جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمير أنساقها وإدامتها، وبما أنَّ الجمالية صفة مشروطة لا بل ناجزة في النقد الأدبي، فإنَّ حضورها في النقد الثقافي بوصفها حيلة على حدّ تعبير الغذامي، ويعني الإعلاء من شأن الوظيفة الجمالية في بنية الخطاب الثقافي من جهة، والاعتراف بقدرة البلاغي والجمالي في المراوغة وتوليد الأنساق من جهة أخرى" (عليمات، 2004، ص35)، فالجوانب الجمالية أساسية في تشكيل (النصوص/الخطابات).

ولا شك في أنَّ النقد الثقافي العربي تجاوز المشاريع النقدية الغربية : "فقصر النقد الثقافي على قراءة أحادية وسم فيها الثقافة العربية والنتاج الشعري العربي كله بالشعرنة، والمشكلة أنَّ كل هؤلاء المنظرين الغربيين الذين قبس منهم الغذامي بدءاً من (إيستهوب وليتش) هم أصحاب مشاريع نقدية محددة وواضحة، ويحاول كلٌ منهم على قدر طاقته أنْ يجسر الفجوة بين الحقول المعرفية من سياسة وأنثروبولوجية وأدبية وجمالية قصد كسر الحدود بين هذه الفواصل المصطنعة، ولم يقل أحد منهم، ما قاله الغذامي حيث وسم نتاج أمة أو ثقافة بأنه مشعرنة وهو فصل تعسفي؛ لأنَّ الشعر العربي لم يفقد انتماءه إلى سياقاته الثقافية والمعرفية حتى لو اتفقنا مع الغذامي بأنَّ أبرز ما يميزه هو الشعرية وليس الشعرنة كما يحلو للغذامي، ولو تجاوزنا عن هذا الادعاء العريض بأنَّ العنصر المهيمن على

الشعر العربي هو (الشعرية) كما ذكرت للتو، فهذا تبسيط مخل بالمفهوم وخلط واضح بين مستلزمات التعبير، وهو سمة لصيقة بالآداب في كل آداب العالم وبين الخطاب الأدبي نفسه بوصفه ظاهرة ثقافية وفكرية وفعلاً منجزاً" (قطوس، 2004، ص232). ويقترح التخلي عن النزعة الهجومية للنقد الثقافي العربي فهو يسدد سهامه للثوابت النقدية العربية من خلال الحط من القيم الراسخة في الشعرية العربية ولو كانت طروحات النقد الثقافي أشد موضوعية تجاه الشعرية العربية لكان النقد الثقافي أكثر قبولاً في الساحة النقدية العربية؛ ولكن وللأسف فالهجوم النقدي يواجه بالهجوم النقدي، والنقد يواجه بالنقد، والصواب والجدة ربما يتعرضان للخدش بين نقد الناقدين. ولا يرى النقد الثقافي من شعرية المتنبي مثلاً إلا الجوانب السلبية، ومثال ذلك صناعة الطاغية التي تتجلى في شعر المتنبي وأبي تمام، وبعدها تبيان العلاقات بين الواقع الثقافي الذي نعيشه وصناعة الطاغية أي أنَّ الشعر العربي يمهد لصناعة الطاغية العربي من خلال الإعلاء من قيمة الغطرسة والقوة والفتوة؛ فالشعر يشكل الثقافة العربية التي تقبل صناعة الطاغية.

وقد عزف جملة من النقاد عن النقد الثقافي؛ بسبب إشكالية علاقته مع النقد الأدبي وإذْ يؤكد (فينسنت ليش) مؤسس النقد الثقافي الغربي: "أنَّ النقدين مختلفين؛ ولكنهما يشتركان في بعض الاهتمامات، إذْ يمكن لمثقفي الأدب أنْ يقوموا بالنقد الثقافي دون أنْ يتخلوا عن اهتماماتهم الأدبية" (الرويلي، 2002، ص308). ويظهر أنَّ العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في الغرب أكثر اتساقاً؛ لأنَ للنقد الأدبي مهمة وللنقد الثقافي مهمة أخرى.

وهذه الهجوم على النقد الأدبي أدى إلى خلافات منهجية بين أعلام النقد الأدبي والثقافي، وتتعمق هذه الإشكالية في محاولات الفصل بين النقد الأدبي والنقد الثقافي من خلال عودة النقاد إلى بمحاولة (فينسنت ليش) مؤسس النقد الثقافي في الغرب الذي قدم محاولة لفصل العلاقة بين النقد الأدبي والثقافي، ويظهر أنَّ: "بعض المهتمين بالدراسات الثقافية في الجامعات يصرون على الفصل بينهما – أي النقد الأدبي والنقد الثقافي– فيقولون بأنَّ النقد الثقافي يركز على الثقافة الشعبية في الجامعات والجماهيرية، ويتخلى عن دراسة الأدب وما يتعلق به من خطاب ونظرية أدبية، بوصف تلك الحقول الأدبية محدودة ومتعالية، ثم يوضح (فينسنت ليش) أنه لا يتفق مع القائلين بالفصل، ولا يعتقد أنَّ على الدراسات الثقافية أولوية على الدراسات الأدبية، ويلاحظ أن (فينسنت ليش) يتحدث عن الدراسات الثقافية والنقد الأدبي بوصفهما شيئاً واحداً في الأساس" (الرويلي، 2002، 308).

ودعوة (فينسنت ليش) لا تطبيق في الساحة النقدية الثقافية العربية، فالنقد الثقافي ينقد النصوص والخطابات وكل المظاهر التي يمكن أنْ يوجه لها النقد فهو متوسع في جميع المجالات ونقد كل الجوانب التي تحتاج النقد، وهو أوسع وأشمل للظواهر فالنقد الثقافي ينقد كل شيء، وأمَّا النقد الأدبي فهو أوسع انتشاراً وحضوراً في مجالات البحث العلمي والجامعات، وهذا يعني وجود ثلاثة توجهات

في إشكالية العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي: أولها، التوجه الذي ظهر في كتاب النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) لمؤسس النقد الثقافي عربياً الدكتور عبدالله الغذامي الذي يدعو إلى موت النقد الأدبي واستبداله بالنقد الثقافي؛ بسبب عجز النقد الأدبي العربي عن استيفاء متطلبات الساحة الثقافية وانحصاره في سياق الجماليات. وثانيهما، الفصل بين النقد الأدبي والنقد الثقافي فلكل أدواته ومنهجيته وطبيعته وأهدافه والدعوة بالفصل بينهما متحقق من خلال الكتابات العربية، فكتب النقد الثقافي وأبحاثه تكون مستقلة في موضوعاتها الخاص عن النقد الأدبي، ولا يعد النقد الثقافي من المناهج النقدية الأدبية إنما نوع من النقد. وثالثهما، دعوة ليتش المتمثلة بأنهما – النقد الأدبي والثقافي – شيءٌ واحد، ولم تتأكد هذه الدعوة في الساحة النقدية؛ بسبب الفروقات الجذرية بين النقد الأدبي والثقافي، ويرجح القول أنَّ النقد الأدبي ذوقي ومنهجي على علاقة بالنقد الثقافي من خلال الأدوات المشتركة بينهما مع استقلال كل منهم في الرؤية والتشكيل والأهداف والمنهجية، وأمّا الدعوة بموت النقد الأدبي أو استبداله فلن تتحقق ودليل ذلك أنَّ النقد الأدبي العربي يمتلك مبررات وجوده وكينونته.

ويمكن تقديم ثلاثة حلول ممكنة لهذه الإشكالية أولها أنَّ الظاهرة (النصية/ الخطابية)هي التي تحدد الحاجة إلى نقد أدبي أو ثقافي، وثاني الحلول النقدية الأدبية والنقد الثقافي موجودان في الساحة النقدية وكليهما يمتلكان مبررات الوجود وأسبابه وكلاهما ينتميان إلى النقد بمفهومه العام والعلاقة بينهما تبادلية؛ لأنَّ النقد الثقافي يستخدم بعض أدوات النقد الأدبي المنهجية، والحل الأخير فَهْمُ النقد الثقافي بأنه مكمل لمسيرة النقد الأدبي وليس بديلاً عنه؛ لأنَّ النقد الثقافي ينقد مجالات لا يدخلها النقد الأدبي، والمؤكد لكل منهما خصوصية تؤكد إلى اختلافه عن الآخر.

المبحث الثاني: خصوصية التشكيل في النقد الثقافي العربي واختلافه عن النقد الثقافي الغربي

يظهر للباحث في النقد الثقافي أنَّ مصطلح النقد الثقافي يتكون من شقين أولهما النقد والآخر الثقافي: "والمتأمل في مصطلح النقد الثقافي الخلافي والمؤلَّف من شقين، يستطيع أنْ يتبين بسهولة أنَّ مكوّنيه أو حدّيْه – سواء أنُظِر إليهما من منظور آني أم من منظور تطوري ينطوي على منجم من القضايا المُشكلة إلى جانب أنهما حصيلة تفاعل النقد العربي الحديث في –مختلف أنواعه– مع الآخر الغربي على وجه التحديد، ومعنى هذا أنَّ فهم هذا الآخر لكل من مصطلحي النقد والثقافة التي ينسب إليها، وما لحق بهذا الفهم من التغيّر والتطور عبر الزمان والمكان سيتركان –لا محالة– تأثيرات لا سبيل إلى التغاضي عنها عند النظر في المصطلح العربي" (عبدالنبي، 2017، ص15)، ولا يمكن أنْ في الشق الثاني من المصطلح الثقافي أنْ يكون ثقافيا غربيا، فالثقافة التي يطبق عليها النقد الثقافي ثقافية عربية إسلامية لها خصوصية في التشكيل.

وبالعودة إلى تاريخ النقد الثقافي عربياً، وتحديداً عند الإعلان عن مشروع النقد الثقافي العربي عند الناقد الغذامي سنة (2000) يظهر أنه: "لم يطلعنا على مصادر مشروعة كما فعل محسن جاسم الموسوي، فالغذامي ينقل عن (ليش) دائماً، وفق أحيان كثيرة يختلط الأمر علينا فلا نفرق بين كلامه وكلام (ليتش)" (خليل، 2012، ص58)، وربما أدى هذا إلى الاضطراب في النقد الثقافي بوصفه مشروعاً نقدياً في الساحات العربية دون مرجعيات واضحة، وبعد البحث في المرجعيات الغربية للنقدي الثقافي يظهر أنَّ النقد الثقافي العربي يتسم بمرجعيات غربية؛ ولكنه ليس غربياً خالصاً، فالنقد الثقافي المطبق على البيئة الثقافية العربية يحظى بسمات خاصة؛ فلا يجوز التعامل مع النقد الثقافي العربي بوصفه منتجاً غربياً؛ وتتبع خصوصية النقد الثقافي العربي من خلال بحثنا في الأدوات النقدية الثقافية المنهجية المطبقة على النصوص والظواهر الثقافية بأدوات ثقافية عربية، ويوصف النقد الثقافي بأنه: "صرعة من صرعات الفكر الغربي في جريه ولهائه المستمر نحو تجاوز الحداثة وما بعد الحداثة، وينظر إليه بوصفه مظلّة واسعة تضم تحتها الاتجاهات النقدية الغربية كالتاريخية الجديدة، والمادية الثقافية، وما بعد الكولونيالية، والنقد النسوي" (خليل، 2012، ص58).

ولكن تظهر نزعة تأصيلية في النقد الثقافي من خلال محاولة إعادة النقد الثقافي إلى أصوله العربية والملاحظ أنَّ: "النقد الثقافي موجود في تاريخ أدبنا العربي كممارسة بل نكاد نجزم أنَّ نقادنا كانوا يمارسونه بقواعده الإجرائية الحالية التي نراها اليوم بحيث أنهم تفطّنوا مبكراً لعلاقة العلوم الإنسانية الأخرى بالأدب، وعلاقة الأديب بالثقافة التي ينتجها مجتمعهم؛ فالعقاد مثلاً مارس النقد الثقافي مع شخصية (ابن الرومي) الثقافية من خلال دراسة نسقية لشعره، وراح يحلل الشخصية الغامضة متتبعاً أنساقها المضمرة" (سعيد، 2021، ص23). وغيرهم حاول ربط النقد الثقافي بممارسات (طه حسين) النقدية ذات الأصول الغربية، ولست مع التوجه الذي ينسب كل منتج للثقافة غربية للثقافة العربية ويحاول البحث في الأصول العربية للممارسات النقدية بل مع التوجه الذي يؤكد خصوصية النقد الثقافي العربية واختلافه عن النقد الثقافي الغربي في تطبيقاته وأبعاده مع اتفاق المرجعية بينهما.

وقد جاء النقد الثقافي في الغرب ردة فعل لحماية الثقافة الغربية من سطوة الثقافة الشعبية، وأمّا النقد الثقافي العربي فجاء جراء تأثر الحركة النقدية العربية بالنقد الغربي وبمغامرة جريئة من الناقد الثقافي عبدالله الغذامي الذي كيف النقد الثقافي مع المعطيات العربية، وقدمه دون مرجعياته الغربية بوصفه منتجاً ذا خصوصية عربية، وهذا يعني أنَّ الأسباب الموجبة لوجود النقد الثقافي العربي تختلف اختلافاً جذرياً عن النقد الثقافي الغربي، وهذا ينطبق مع مبادئ خصوصية النقد الثقافي العربي.

ويظهر من خلال البحث في المرجعيات الغربية للنقد الثقافي، الاتفاق بين التشكيل العربي للنقد الثقافي والغربي؛ لأنَّ معالم النقد الثقافي الغربية التي تظهر عند مؤسس النقد الثقافي (فينسنت

ليش) من خلال ثلاثة معالم أساسية وهي: "(1) أنَّ اهتمام النقد الثقافي لا يقتصر على الأدب المعتمد، (2) أنه يعتمد على نقد الثقافة وتحليل النشاط المؤسسي إضافة إلى اعتماده على المناهج النقدية التقليدية، (3) أنه يعتمد على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد البنيوية" (الرويلي، 2002، ص308).

وهذا ما تبين فعلاً فاهتمام النقد الثقافي لا يقتصر على الأدب بل تجاوز ذلك إلى جميع الظواهر التي يمكن نقدها ثقافياً، ومثال ذلك: الثقافة التلفزيونية، وعلاقة المرأة باللغة، والسلطة السياسية وغيرها من الظواهر والنصوص والخطابات التي يمكن أن تكون موضوعاً للنقد الثقافي، وقد اعتماد النقد الثقافي العربي وتحليل أنشطة من خلال أدوات نقدية منهجية عربية تقليدية تحيط (بالنص/الخطاب/الظاهرة) وتحللها ثقافياً من خلال تشكيل ثقافي يعيد إنتاج الثقافة العربية وبيان سلبياتها، ويستند النقد الثقافي في توجهاته إلى منهجيات ما بعد حداثية وما بعد بنيوية لتحقيق غايته الثقافية على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد البنيوية، وهذا يؤكد أنَّ المرجعيات الغربية في النقد الثقافي تتوافق مع المرجعات العربية؛ ولكن الأدوات والتطبيق والإشكاليات تختلف بسبب خصوصية النقد الثقافي العربي، ويظهر أنَّ الناقد الثقافي العربي: "قد نقل هذا المصطلح من الدرس النقدي الغربي ثم طوره وفق مرجعية الثقافة العربية" (السعيد، 2021، ص22). وهذا يعني أنَّ النقد الثقافي ذو الأصول الغربية تم تكييفه مع البيئة الثقافية العربية ليكون نقداً ثقافياً ذا مرجعيات غربية وخصوصيات عربية.

ويتعرض النقد الثقافي إلى هجوم بوصفه شكلاً من: "أشكال العولمة الثقافية بإنكار مفهوم الهويات الصغيرة والكبيرة وتوحيد بنى الثقافة العالمية من خلال المتن الثقافي المفتوح على غرار السوق الاقتصادية المفتوحة بعد التبصر بمزالق هذه الرؤية الخطيرة، ولكن هذا القول يتراجع عندما يصبح الهامش متناً ليمارس ضرباً من ضروب المركزيات الثقافية المضادة والمتحكمة في كثير من الممارسات الثقافية العالمية" (خليل، 2018، ص305). وربما يمكن أنْ يوصف هذا بالمبالغة؛ ولاسيما في الممارسات الثقافية العالمية؛ لأنَّ ممارسات النقد الثقافي لا يمكن توحيدها عالمياً ولن يبقى النقد الثقافي على حاله بل سيتطور؛ بسبب الخصوصية النقدية في البلدان العربية، ولن تكون الممارسات الثقافية في معارضة الأنظمة السياسية، ويصعب تكوين مركزيات ثقافية؛ لأنَّ لكل ناقد خصوصية كما أنَّ لكل نقدٍ خصوصية، ففكرة المركزيات الثقافية مستبعدة.

ويمكن أنْ نستبعد فكرة أنَّ: "النقد الثقافي لم يقدم الجديد؛ إذْ إنَّ هناك عددا من الباحثين يرون أنَّ النقد الثقافي لم يثبت فعاليته حتى داخل البيئة التي أفرزته، ومن هؤلاء (عبد العزيز حمودة) الذي يرى أنَّ النقد الثقافي افتتن فئة من الأساتذة العرب بأدواته الغربيّة، ومنهم من يرى فيه مظهرًا من مظاهر العولمة، وعلى الرغم من سعي (الغذامي) إلى إرساء معالم مشروع عربي جديد يزاوج فيه بين

الفكر الغربي" (صالح، 2000، ص9). ويظهر أنَّ النقد الثقافي قدم جديدًا في الساحة النقدية، فقد نقل النقد من الأجناس الأدبية إلى الأجناس الأدبية وغير الأدبية، وأصبح موضوعًا يقبل النقد الثقافي، ولا يستطيع ناقدٌ إنكار وجوده الذي يحمل مبررات بقائه في النقد العربي وخصوصيته، ولا يمكن الزعم بأن النقد الثقافي العربي منتج غربي خالص بل هو مزيج بين المرجعيات الغربية والتنظير والتطبيق العربيين للوصول إلى نتيجة مفادها عدم الممانعة في الإفادة من المنهجيات الثقافية الغربية وتوظيفها خدمة للأجناس الأدبية وغير الأدبية العربية.

وربما يكمن الحل في تقديم النقد الثقافي من خلال اعتماده: "التحليل الشامل الذي لا يرتبط بحدود النص، أو لغته أو جماليته، إذْ تندرج تلك اللغة أو تلك الجماليات ضمن هذا النقد في بيئة أوسع وأشمل هي البيئة الحاضنة وظروف إنتاج النص والعوامل الموجهة له، كما أنَّ الناقد الثقافي يَجِدُّ نفسه بمواجهة التاريخ والنظام الاجتماعي والنظام السياسي فضلاً عن النص نفسه" (خليل، 2018، ص20)، وكل هذه العناصر تؤكد الخصوصية العربية في النقد الثقافي.

ولحل إشكالية خصوصية النقد الثقافي العربي لا بد من الاعتراف بأن النقد الثقافي ذو مرجعيات غربية، ويتسم بخصوصية عربية من خلال تطبيقاته وتحليلاته وأدواته التي تنطبق على البيئة الثقافية العربية من خلال مسوغات تبرر تطبيق النقد الثقافي العربي ووجوده، وربما يمكن وصف ما حصل بالعربي بأنه تكييف مع البيئة العربية، فللنقد الثقافي العربي خصائص تنبع من خصوصيته أهمها:

1- معالجة النقد الثقافي للقضايا العربية مثل: علاقة المرأة باللغة، والشاعر الفحل الذي ينقل أنساق الهيمنة والتسلط، وآليات صناعة الطاغية، ويصاغ النقد الثقافي عربياً بطريقة تتناسب مع البيئة الثقافية العربية وتحولاتها وقضاياها.

2- يستخدم النقد الثقافي الأدوات النقدية الثقافية العربية التقليدية وأهمها: (المجاز، الأنساق الثقافية المضمرة، المؤلف المزدوج) وتشكل هذه الأدوات جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي العربي الذي يعرض بطريقة ثقافية منهجية.

3- أُثبتَ للنقد الثقافي العربي من خلال أعلامه قدرة على السير المنهجي والاستمرار في الثقافية النقدية العربية من خلال التنظير والتطبيق، وقدم تحليلات ثقافية تتسم بالجدة.

4- لا ينفصل النقد الثقافي العربي عن الواقع العربي من خلال معالجته النقدية للقضايا المطروحة على الواقع بأدوات منهجية.

5- يختلف النقد الثقافي العربي عن النقد الأدبي العربي، ولكل منهما مجاله وأبعاده. ويتقاطعان في الأدوات المنهجية التي يستفيد منهما النقدان الثقافي والأدبي.

6- نقاد الأدب العرب يستخدمون النقد الثقافي والأدبي وفق حاجة (النصوص/ الخطابات/ الظواهر).

7- يعاني النقد الثقافي من إشكاليات منهجية ينبع بعضها من خصوصية البيئة الثقافية العربية، ومثال ذلك استخدام النقد الثقافي لأدوات النقد الأدبي المنهجية في سياقات النقد الثقافي.

المبحث الثالث: أدوات النقد الثقافي من التقليد إلى الاستعمال النقدي الثقافي

إنَّ إشكالية أدوات النقد الثقافي التقليدية التي تصل إلى حدّ الاضطراب والغموض؛ بسبب شدة التقييد" "فالنقد والناقد والمناهج النقدية تمارس فعلاً ثقافياً؛ لأنَّ النقد أصلاً هو فعلٌ ثقافي؟" (خليل، 2018، ص20). وهذا ما حدث فعلاً مع أدوات النقد الثقافي التقليدية الموجودة في النقد الأدبي العربي، فما الحاجة إلى تقيدها بقيد النقد الثقافي؟ والإجابة عن هذا التساؤل تكمن بأن قيد النقد الثقافي أدى إلى اضطراب في استخدام أدوات النقد الثقافي وغموضها، ويمكن ضرب مثال على إشكاليات استخدام الأدوات النقدية الأدبية والبلاغية استخداماً ثقافياً لمفهوم (المجاز) الذي يعد أداة تقليدية في النقد الأدبي ودخل إلى حقل النقد الثقافي الذي أدى إلى اضطراب وغموض في فهم (المجاز الثقافي) في النقد الثقافي وعن ماهية العلاقة بين المجاز التقليدي في علم البلاغة العربية والمجاز في النقد الثقافي: "و(المجاز) وهو معطى بلاغي عربي تحوّل إلى (مجاز كلي) ذي نسق هامين لا يرتبط بجملة بقدر ارتباطه بنسق ثقافي، و(التورية) الثقافية البلاغية القائمة على عنصرين أحدهما قريب والآخر بعيد تحول إلى علاقة بين معطى ظاهري قريب ونسق مضمر بعيد، وهكذا في جميع المصطلحات النقدية والبلاغية التي اكتست حلة (غذامية) ذات نزعة ثقافية واضحة" (خليل، 2012، ص43). ويلاحظ أنَّ المجاز والتورية في النقد الثقافي تختلف اختلافاً جذرياً عن الأصل البلاغي للمجاز والتورية، ويؤكد هذا التقليدية في مصطلحات النقد الثقافي، وعمل أعلام النقد الثقافي على تطوير المصطلحات الثقافية وإعادة هيكلتها بما يتناسب مع الطرح (ما بعد الحداثي) و(ما بعد البنيوي للنقد الثقافي)، ولا تقتصر أدوات النقد الثقافي على البلاغة أو النقد الأدبي بل توصف بأنها: "متجاوزة، متعددة، كما أنَّ نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ومفاهيم متنوعة" (أريزبريج، 2003، ص31). وربما كان الأسلم استخدام مصطلحات جديدة تناسب طرح النقد الثقافي بدلاً من العودة إلى المصطلحات التقليدية التي تسبب الإشكالية بين الاستخدام التقليدي للمصطلح وتبيان العلاقة بالتجديد في النقد الثقافي.

ويلاحظ أنَّ النقد الثقافي اعتمد في تأصيل مفاهيمه على: "مصطلحات بلاغية موروثة في الوقت الذي يصف فيه البلاغة بالشيخوخة، ويطلب منها التقاعد وكان الأولى أنْ يستحدث الغذامي مصطلحات جديدة تتماشى مع الطرح الحداثي الجديد" (أريزبريج، 2003، ص31)، ويحاول النقد الثقافي بناء: "(نظرية عربية) قائمة على (تحوير) المبادئ المتوفرة في البلاغة والنقد العربيين وإلباسهما روح المُعطى الثقافي" (أريزبريج، 2003، ص31).

وممّا يزيد إشكالية الغموض واستخدم المصطلحات التقليدية بطريقة ثقافية أنّ بعض نقاد النقد الثقافي ليسوا من المتخصصين في مجال النقد الثقافي، مع العلم أنَّ مصطلحات النقد الثقافي لكي تستخدمها بطريقة صحية يجب أنْ تعلم أصل المصطلح ومثال ذلك مصطلح المجاز يجب أنْ تكون على معرفة بأن المجاز هو :"كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، وإنْ شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أنْ تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تُجوّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز" (عتيق، 1985، ص141).

وأمَّا مفهوم المجاز في النقد الثقافي فهو: "قدرة فائقة في كشف وتسمية التحولات الدلالية على مستوى المفردة والجملة، وإنَّ توسيع المفهوم سيساعدنا على كشف الازدواج الدلالي الأخطر، ذلك الازدواج الذي يتلبس الخطاب الثقافي ببعده الكلي الجمعي، وعبر العنصر النسقي وما يفرزه من وظيفة نسقية، وعبر توسيع مفهوم المجاز ليكون مفهوماً كلياً لا يعتمد على ثنائية الحقيقة/المجاز، ولا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال، فإننا نقول بمفهوم المجاز الكلي متصاحباً مع الوظيفة النسقية للغة، والاثنان معاً مفهومان أساسيان في مشروعنا في النقد الثقافي كبديل نظري وإجرائي عن النقد الأدبي" (الغذامي، 2005، ص69).

وهذا يدّل دلالة قطعية على أنَّ مفهوم المجاز في النقد الثقافي يختلف اختلافاً كلياً عن مفهوم المجاز في البلاغية العربية ممّا يحدث شيئًا من الغموض في فهم المجاز واضطراباً، بسبب توسيع المجاز.

ويمكن أنْ يأتي نقاد النقد الثقافي من المجالات الحاسوبية والمعلوماتية، ويستخدمون الأدوات النقدية والأدبية بطريقة غير دقيقة؛ فلا بدّ من المراجعة الدقيقة والاهتمام بأهلية الناقد الثقافي، فربما لا يكون فهمه لسير مصطلحات النقد الثقافي غير منهجي ويحتاج إلى تصويب وتدقيق، وربما ترجع مشكلة المصطلحات للهوية الأكاديمية؛ لأننا عندما ننظر إلى: "الهوية الأكاديمية للأفراد الذين يتصدون للنقد الثقافي، لا نجد مشكلة في كثير من الحالات فمنهم يأتون من أقسام الآداب والاجتماع والفلسفة وغيرها، غير أنه يوجد في حالة مدارس وأقسام المعلومات والاتصالات مشكلة كبيرة" (أريزبريج، 2003، ص31)، في فهم مصطلحات النقد الثقافي ذات الأصول البلاغية والنقدية الأدبية.

ويمكن للناقد الثقافي أن يستعين بالحقول المعرفية مثل: "الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) أو اللاهوت (علم الأديان)؛ لأنَّ الناقد في فعله يذهب أينما يجد وسيلة لإضاءة النص كي يصل إلى خفاياه" (قطوس، 2004، 228). وهذه الاستعانة بالحقول المعرفية تؤدي إلى وقوع الناقد بالإشكاليات؛ بسبب غياب التخصصية المنهجية والعلم الموسوعي الذي تتطلبه بعض المجالات

الثقافية للنقد الثقافي: "صحيح أنَّ الثقافة أعم وأشمل من النقد؛ ولكنَّ النقد الذي يسائل أدواته هو الذي يطوع الثقافة لمصلحته ويدخلها دائرته، فتغدو جزءاً من الفعل النقدي الذي يساير الثقافة ويستوعبها، وكأنَّ الناقد يحاول التعارض بين النظام ممثلاً بالنقد الأدبي – التقليدي– والثقافة إلى تجنيس يخدم الممارسة النقدية" (قطوس، 2004، ص228)، ويؤكد هذا حاجة الناقد الثقافي إلى المعرفة النقدية قبل خوض غمار التطبيق الثقافي.

واستخدام الأدوات في النقد الثقافي يبدأ بالقراءة والتحليل، ثم تطبيق مفاهيم النقد الثقافي وتحقيقها في (النص/ الخطاب/ الظواهر) ومراجعة دقتها للتأكد من الأنساق الثقافية وطريقة توافقها، فهي أدوات نقدية تؤدي إلى نتائج عند وجود حوار ثقافي مع (النص/ الخطاب/ الظواهر)، إضافة إلى الخبرة في نقد النصوص ثقافياً من خلال الاطلاع على تجارب نقدية ثقافية سابقة، وخضوع الأجناس الأدبية وغير الأدبية للنقد الثقافي يقدم تحليلات نقدية ثقافية تتسم بالموضوعية الثقافية النقدية، وكل نقد يعدُّ ممارسة ثقافية، ولكن كل ممارسة ثقافية لا تُعدُ نقداً.

ويظهر أنَّ النقد الثقافي: "بحاجة إلى بلورة مفاهيمه وتوضيح كثير من مصطلحاته ليكون القارئ أكثر فهماً لها" (قطوس، 20024، 227). ويمكن أنْ يكمن الحل في تقديم دليل تطبيقي يختص بمصطلحات النقد الثقافي وآليات ممارستها في (النص/ الخطاب/ الظواهر) الثقافية لتحقيق الوضوح والدقة في فهم مصطلحات النقد الثقافي، ويحافظ النقد الثقافي على الخصوصية العربية واستخدام ما يصلح من أدوات بلاغية ونقدية في سياقاته.

ويمكن وصف النسق بأنه العمدة في النقد الثقافي؛ بسبب افتراض أنَّ (النص/ الخطاب/ الظاهرة) تحتوي على أنساق ثقافية مضمرة تخفيها؛ لأنها تحتوي على العيوب النسقية الظاهرة، أي المشكلات الثقافية التي يصنعها (النص/ الخطاب/ الظاهرة) في الفكر والواقع، ويُؤخذ على النسق وجود إشكاليات أولها: "غموض مفهوم النسق الذي يُعدُّ حجرَ الأساسِ في تجربة النقد الثقافي حيث إنه لا يكتسب سماتهِ إلا من خلال الوظيفة التي يؤديها" (ديامنتة، 2013، ص135). ويأتي غموض النسق الثقافي من خلال إضماره للخلل الثقافي والعيوب في (النص/ الخطاب/ الظاهرة)، ويحدد النسق وفق اجتهاد النقد الثقافي وفهم للساحة الثقافية، ومثال ذلك أنَّ: "معيار جماهيرية الأثر الأدبي– أيّ أنَّ من شروط دراسة (النص/ الخطاب) الأدبي أنْ تكون مشهوراً وذا انتشار واسع– إلا أنَّ هذا الشرط تعسفي؛ ذلك أنَّ ما قام به الغذامي في هذا المجال إنما هو محض اجتهاد، ولا سيما أنه من الصعب وضع تعريف دقيق للثقافة التي هي محور هذا النقد، لذلك فإنَّ جماهيرية النص المنقود تبقى مجرد رأي؛ وذلك لأنَّ الأدب برمّته إنما هو موقف إنساني محضه قد يتفاوت مستواها الفني من كاتب لآخر" (السعيد، 2021، ص27).

ونظراً لما رافق: "النقد الثقافي من غموض لدى دعاته ورواده حول مفهومه، اضطراب في دلالته وإجراءاته ممّا أثار في ذهن المتلقي العربي عدة تساؤلات حول هذا المصطلح" (جغبوب، 2015، ص28)، لذا يقترح إعادة النظر في فهم النسق الثقافي وتطويره من خلال مزيدٍ من التطبيقات النقدية الثقافية.

وثانيها إشكالية الترجمة من أصول اللغات غير العربية إلى اللغة العربية فالنسق: "غائم وضبابي لم يستطع أنْ يربطه – الغذامي– باللغة الأم الذي ترجمه منها؛ ولكن ما فاته – الغذامي – وكان عليه أنْ يبدأ به هو أنْ يفكر في مصطلح النسق الثقافي... وبما يقابله في اللغة التي ترجم عنها" (خليل، 2012، ص40). ويعود السبب وراء هذا الإشكالية إلى: "اختلاف الفهم فيما يترجم من أفكار ثقافية من الآخر الغربي، وعليه فإنَّ الكثير من الترجمات مبسترة لا تحيط بالقضية المترجمة إلا بقدر اطلاع المترجم على بعض المصادر تاركاً الكثير من المتعلقات التي ربما تشكل عَصَبَ المنجز الفكري المنقول من الثقافات الأخرى، والواقع أنَّ الناقد العربي وَقَعَ تحت هذه الأجواء ويمارس في الوقت نفسه انتقائية في اختيار الموضوع تبعاً للأهواء الذاتية... وهذا ما يؤدي إلى ثقافة مبسترة أو وجهة لا تخدم طموحات القارئ في كثير من الأحيان" (عبدالله، 2013، ص5)، ويمكن التصدي لإشكاليات الترجمة من خلال مرجعيات الترجمة وتقديم تطبيقات تحليلية تفيد في توضيح مصطلحات نقدية ثقافة المترجمة من اللغات الأجنبية.

وثالثها: أنَّ النسق الثقافي: "كما يراه الغذامي أدى إلى اختلاف الطواغيت، ويبدو أنه بذلك اخترع الطواغيت من نوع آخر جديد هو الناقد الثقافي الذي يريد له أنْ يتفرد في الساحة الثقافية، فآراؤه صحيحة، وما عداها صدى... وبماذا يختلف صنع الطاغية السياسي عن الطاغية الثقافي؟" (خليل، 2012، ص54). وهذا يعني أنَّ النسق الثقافي يولد طاغية مسلطاً على (النصوص/ الخطابات/ الظواهر) فكونه ناقداً ثقافياً طاغية يهاجم الطواغيت في مختلف محافلهم وأوضاعهم، فهو بديلٌ موضوعي للطاغية السياسي أو الاقتصادي أو النصي، وتُتهمُ مصطلحات النقد الثقافي بأنها: "على قدر كبير من الصعوبة والتقنية العالية إلى درجة أنَّ في كثير من الحالات تكون شديدة الإبهام، وعندما يتواصل نقاد الثقافة بعضهم ببعض في الكتب الدراسية أو الموضوعات فهم يتحدثون – بشكل عام– بلغة تميل إلى الغموض إلى الدرجة التي يصفها الإنسان العادي بالرطانة (اللغة غير المفهومة) حيث تكون صعبة الفهم" (أريزبريج، 2003، ص31)، ويفضل إعادة النظر في مصطلحات النقد الثقافي من خلال تقديمها في دليل المصطلحات النقدية الأدبية المتخصص الذي يقوم بتبسيط مصطلحات النقد الثقافي ومراجعتها وتدقيقها.

المبحث الرابع: إشكاليات ما بعد البنيوية المؤثرة في النقد الثقافي

إنَّ النقد الثقافي ينتمي إلى مرحلة ما بعد البنيوية التي تظهر أنَّ الإشكاليات التي يعاني منها النقد الثقافي هي إشكاليات ما بعد البنيوية، ويمكن وصف إشكاليات ما بعد البنيوية بأنها:"

(1) رفض العقل الشمولي والكلي.

(2) الشك في السرديات الكبرى أو الحكائيات الكلية، وهي التمثلات الثابتة التي يفترض أنها تمثل الحقائق الكونية.

(3) تأكيد الترابط بين المعرفة والمصلحة والقوة.

(4) التركيز على الثقافات كبناءات غير مترابطة ومواقع للصراع.

(5) إثارة الشك بالأنظمة والثوابت المركزية.

(6) الحساسية تجاه الاختلافات والإقصاء والمهمش والشعبي" (خليل، 2012، ص79).

ولابد من التأكيد على خصوصية مرحلة ما بعد البنيوية التي تشكل في مفهومها العام رفضاً للمنجز البنيوي وتعني كلمة (ما بعد) المعارضة للمنجز البنيوية، ويظهر أنَّ النقد الثقافي ينقد العقل الشمولي والكلي؛ لأنه سببٌ في الرجعية التي تمارسها (النصوص/ الخطابات/ الظواهر) في الثقافة العربية؛ وهذه منهجية يجب الإفادة منها في تصحيح مسارات الثقافة العربية والعقل العربي دون إيجاد مزيدٍ من الإشكاليات، وينظر النقد الثقافي للسرديات الكبرى أو الحكائيات بأنها المصدر المباشر للعيوب النسقية المؤثرة في العقل والثقافة، ويوجه النقد الثقافي سهامه للشعر العربي الذي يمثل الخصوصية العربية التي تحل محل السرديات الكبرى أو الحكائيات؛ بسبب هيمنته على الفكر العربي، ويحاول النقد الثقافي الكشف عن العلاقات بين المعرفة والمصلحة والقوة بوصفها علاقات متحكمة بالثقافة وتؤدي إلى إنتاج ثقافة تخدم المصلحة والقوة، ويركز النقد الثقافي على الثقافة بوصفها بناءً يقوم على الصراع؛ لأنَّ الثقافة تحقق مفاهيم صراعية وجدلية منعكسة في الواقع الثقافي، وتُبنى قيم النقد الثقافي على الشك في القيم والثوابت التي تؤدي إلى تعديل المفاهيم وأنساقها، وهذا الشك بدأ في صناعة الفحل والطاغية في النقد الثقافي، وتخرج أعمال نقاد النقد الثقافي من الاشتغال به إلى: "اشتغل بنقد الثقافة، وليس في النقد الثقافي منطلقاً من أنَّ العمل في النقد الثقافي القائم على آلية منهجية تأطرت بأفكار ما بعد الحداثة، وأخذت حيزها وتشكلت المباني النقدية منها، ونقد الثقافة يمكن أنْ يطلق على كل العلوم الإنسانية بما فيها النقد الأدبي باعتقاد بعض النقاد، وهذا صحيح لكن أعمال بعض هؤلاء تكاد أنْ تتطابق مع النقد الثقافي ما بعد البنيوي دون دراية أو سابق فكرة، وقد عملت هذه الدراسات على دراسة الثقافة والحضارة وأثرها في المجتمع وأفكاره، ولهذا تجدنا ميالين إلى

تسمية هذا النوع من النقد بالنقد الثقافي الحضاري بالمعنى العام لا المعنى التخصصي كما في النقد الثقافي ما بعد البنيوي" (عبدالرحمن، 2013، ص82).

ويبدو أنَّ النقد الثقافي يركز على القصيدة الشعرية بوصفها تكريساً للأنساق السلطوية المهيمنة في الخطاب الثقافي العربي؛ فالقصيدة الشعرية هي مركز العيوب النسقية وسلطتها، ولا يعتني النقد الثقافي بالجانب النثري الذي يمكن أنْ توجد فيه الإشكاليات النسقية الموجودة في الجانب الشعري، وربما يتصور النقد الثقافي الحداثة العربية بأنّهاَ حداثة شعرية؛ لأنَّ رؤية الحداثة شعرية في النقد الثقافي مع الإصرار على إغفال بقية النصوص والخطابات مثل: الرواية والقصة والمسرحية وغيرها من الأجناس الأدبية، ويؤكد أنَّ النقد الثقافي يحتاج إلى مزيد من التطبيقات (النصية /الخطابية...).

ويظهر التنظير بوصفه الجانب الأكبر في النقد الثقافي ويغيب التطبيق في جل المحاولات النقدية الثقافية، ويمكن أنْ يؤخذ على النقد الثقافي محاربة العيوب النسقية في الثقافة العربية وعدم محاولة معالجتها أو تقديم حلول لتجاوزها؛ لأنَّ العيوب النسقية في الثقافية العربية لاتزال على حالها، ولاشك أنَّ النقد الثقافي من دوائر النصوص المغلقة إلى الواقع الفعلي؛ ولكننا لا نلاحظ أيَّ تعديل في مسيرة النصوص أو طريقة صياغتها وعرضها للموضوعات النصية، لهذا دلالة قطعية على أنَّ ممارسات النقد الثقافي تحتاج إلى مزيد من التطوير لزيادة نسبة التأثير في الواقع الثقافي العربي، ويسقط النقد الثقافي: "في مشكلة تعميم الأحكام حيث يرى أنَّ القصيدة الشعرية العربية القديمة تتحكم فيها بنية الفحولة الناتجة عن سيادة وطغيان الاستبداد السياسي والاجتماعي" (ديامنتة، 2013، ص131).

ويؤكد الغذامي: "صورة الذات الطاغية، وهي لا شك صورة مجازية غير أنْ مجازيتها لم تمنعها من أنْ تكون حقيقة اجتماعية وسياسية وثقافية، بمعنى أنْ الصورة الشعرية التذوقية المجازية تحولت لتصبح نموذجاً ذهنياً يتسم استيعابه من خلال الخطاب الشعري، ثم يجري استنساخه اجتماعياً وذهنياً ليصبح صورة ثقافية نسقية، ويعني هذا أنَّ الشعر العربي كله مبني على النفاق الاجتماعي والسياسي" (خليل، 2012، ص58).

وهذا شك التعميم الشمولي وربط العلاقات بين المصلحة والقوة وهي من إشكاليات ما بعد البنيوية، ويظهر أنَّ موقف: "الغذامي من الطغاة الآخرين الذي يوهم عين الناقد الثقافي بأحد المتصارعين وكأنه الآخر؛ لكنها تصاب بالعمى حيث يحتل الطاغية مكان الشاعر، ويغدو الطغاة الآخرون المسكوت عنهم في ثنايا خطابه وقوله مدعين" (خليل، 2012، ص58). وربما يمكن أنْ توصف هذه الإشكاليات بأنها ما بعد بنيوية التي تظهر في النقد الثقافي من خلال إثارة الشك بالأنظمة والثوابت المركزية: ويشخص ذلك بالعمى الثقافي وهو: "ممارسة تصيب بعض النقاد للتغطية وإغماض العينين من أجل الحفاظ على النسق الطاغي في التلقي... والعمى الثقافي هو حالة من حالات حيل

الثقافة وألاعيبها تصيب مستهلكي الثقافة في أمّة ما وتذهلهم عن أنْ يتبينوا مواطن الضعف والهشاشة في ثقافتهم، وهذه الحالة سببها هذه الحيل التي تزرعها اللغة مستفيدة من جمالياتها البلاغية لتبهر أبناء ثقافة تلك الأمة، ولا يمكن اكتشافها إلا إذا سلط ضوء الثقافة عليها في البحث عن الأنساق المضمرة وبعكسها قد تستمر هذه الحال قروناً" (عبدالله، 2013، ص5)، وبهذا يعالج النقد الثقافي عيوب الثقافة وأنساقها من خلال تسليط الأضواء على الخلل الثقافي وبحثه لحل عيوبه النسقية ونقدها لمعالجتها.

ويستخدم النقد الثقافي المفاهيم والنظريات المتداخلة: "بهدف قراءة كل المفردات الحياتية دون تمييز بين راقٍ أو شعبي لمعرفة البنى الذهنية التي تحرك النصوص على اختلاف تسمياتها تحت إطار ثقافي وتغيب عنها في كثير من الأحايين التحليلات الجمالية التي يهتم بها النقد الأدبي، وقد أظهرت مظلة المصطلح أنَّ الكثير من النقاد العرب الذين اهتموا بموضوع النقد الثقافي ما بعد البنيوي بفعل المثاقفة والتأثير بالآخر الغربي وأطروحاته الفكرية فضلاً عن ذلك تفاقم دور المؤسسات وهيمنتها طوال العقود المنصرمة، والنقد الثقافي يكشف آلية المؤسسة وهيمنتها وبناها الذهنية التي تحاول جاهدة إخفاءها؛ لضمان بقائها من خلال تمرير حيلها من خلال الضمير الجمعي للشعوب وثقافتها" (عبدالرحمن، 2005، ص5).

وتتعدد إشكاليات النقد الثقافي بسبب النمط الاختياري السائد الذي يخص الشعر العربي بالتطبيق ويغفل بقية الأجناس والخطابات، وتركز دراسات النقد الثقافي على الجانب النظري وتغييب التطبيق، ويظهر وجود النقد الثقافي جلياً في الساحة النقدية العربية مع شدة الحاجة إلى تطويره وتجديده وتقديم المزيد من المراجعات والتغذية الراجعة لتحقيق نتائج أفضل في ممارسات النقد الثقافي ودراسته، وهذه الإشكاليات تمثل نتائج لا تقلل من قيمة النقد الثقافي وأهميته في الساحة العربية النقدية بل تعزز فرص وآفاق تحسين أداء النقد الثقافي.

الخاتمة:

تتعدد إشكاليات النقد الثقافي بسبب مرجعياته وممارساته وتطبيقاته النقدية، وأبرز إشكالياته هي: العلاقة بين النقد الأدبي والثقافي ودعوة النقد الثقافي إلى موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي محله، والهجوم على الجماليات في النصوص والخطابات، وخصوصية التشكيل في النقد الثقافي العربي واختلافه عن النقد الثقافي الغربي، وتقليدية أدوات النقد الثقافي وإشكاليات استخدامها، وإشكاليات ما بعد البنيوية المؤثرة في النقد الثقافي، والإشكاليات المنهجية بسبب التأثر والتأثير والاختيار في الأحكام وتعميمها، ويظهر أنَّ إشكاليات النقد الثقافي محدودة وإن كان بعضها جوهريا؛ ولكنها لا تصل بالنقد الثقافي إلى حدود الأزمة المنهجية، ويُدخِلُ تكاثر الإشكاليات النقد الثقافي في أزمة منهجية، وهذا لم يحصل في النقد الثقافي فالإشكاليات اعتيادية ويوجد لها حلول منهجية طرحها

هذا البحث للإفادة منها، وتشخص الإشكاليات النقدية ومراجعتها في النقد أساسًا لحلها، ويندرج البحث في الإشكاليات المنهجية للنقد الثقافي ضمن إطار التغذية الراجعة للنقد الثقافي.

النتائج:

1- إنَّ النصوص الأدبية تطلب نوع النقد المناسب وفق المنهجيات والإشكاليات والموضوعات التي يعانيها النص؛ لذا فالنقد الثقافي يشكل مرجعية نقدية لكثير من النصوص الأدبية.
2- يُعدُّ النقد الثقافي نوعاً من أنواع النقد الموجودة على الساحة النقدية ولا يشكل بديلاً أو موتاً للنقد للنقد الأدبي.
3- يختلف النقد الثقافي العربي عن النقد الثقافي الغربي؛ لأنه يمزج المرجعيات الغربية والخصوصية العربية في الموضوعات والتشكيل والأدوات.
4- يعاني النقد الثقافي العربي من إشكاليات متنوعة؛ لكنها لا تعيق قدرته على الاستمرار والتطور.
5- قدم النقد الثقافي العربي موضوعات نقدية غير أدبية يمكن الإفادة منها في دراسات أدبية متنوعة.

قائمة المصادر والمراجع:

- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني النحوي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة، ط(1).
- أريزبريج، آرثر، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، ط(1)، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بستطاويسي، المشروع القومي للترجمة: المجلس الأعلى للثقافة: مصر، 2003.
- الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة (سِفر القضاة لأحمد زغب أنموذجاً)، قبنه السعيد، إشراف الدكتورة الشيخة خديجة، جامعة غرداية: الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية.
- بسام قطوس، دليل النظرية النقدية المعاصر (مناهج وتيارات)، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع: الكويت، ط(1)، 2004.
- جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي أنموذجاً) يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: لبنان، ط(1)، 2004.
- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)، د. سمير خليل، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، دار الكتب العالمية: لبنان، ط(1).
- الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً)، ط (3)، المركز الثقافي العربي: بيروت، 2002.

- سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري: بغداد، ط(1)، 2012.
- سمير خليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، دار ومكتبة البصائر: بغداد، ط(3).
- صورية جغبوب، النقد الثقافي: حدوده، مفهومه، وأهم رواده، مجلة كلية الآداب واللغات: جامعة خنشلة: العدد الأول، الجزائر، 2015.
- عبد النبي اصطيف، ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟، مجلة النقد الأدبي فصول، المجلد (3/25)، العدد (99)، ربيع 2017، الهيئة المصرية العامة للكتب: مصر، ص15.
- عبدالرحمن عبدالله، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي: العراق أنموذجاً، دار الشؤون الثقافية: بغداد، ط (1).
- علم البيان في البلاغة العربية، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، ط(1)، 1985.
- الغذامي، عبدالله، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط(3)، المركز الثقافي العربي: بيروت، 2005.
- فنسيت ب. ليش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينيات، ترجمة: محمد محي، مراجعة: ماهر شفيق فريد، المشروع القومي للترجمة: مصر.
- قماري ديامنتة، النقد الثقافي عند عبدالله الغذامي، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد زغب، 2013، جامعة قصدي مرباح: الجزائر، 2013.
- ليشته، جون، خمسون مفكراً أساسياً معاصراً من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية: لبنان، ط(1)، 2008.
- بويطيقيا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، بشرى صالح، دار الشؤون الثقافة العامة: بغداد، ط(1).